بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله صلَّىٰ الله وسلَّم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين..

أمَّا بعدُ.. أيّها الإخوة الكرَام..

هٰذه وقفة مع أعظم وأجلِّ أوصاف أهل المَيْمَنة الَّذين أكرمهم الله ﷻ باقتحام العقبة وما أدراك ما العقبة؛ حيث ذكر الله ﷻ في وصفهم: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨﴾[البلد].

والإيمان هو قاعدة الدِّين، الذي عليه بناء الدِّين وقيامه، الإيمان بالله ﷻ وبكلّ ما أمر ﷻ عباده بالإيمان به، ومن لم تكن أعماله قائمة علىٰ الإيمان فإنَّها حابطة؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٥﴾[المائدة]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾[التوبة:٥٤]، فالإيمان أساسٌ عليه قيام الدِّين، ولا قَبول لأيِّ عمل إلَّا به، فهو الذي به تصحّ الأعمال؛ ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ [النحل:٩٧]، ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ۝١٩﴾[الإسراء].

ثم ذكر الله ﷻ لهؤلاء وصْفين عظيمين وخَلَّتين كريمتين، ما أحرىٰ أهل الإيمان أن يُعْنَوا بهما اتِّصافًا وتخلُّقا، ألا وهما: **التَّواصي بالصَّبر والتَّواصي بالمرحمة.**

أمَّا الصَّبر فهو حبس النَّفس ومنعها عمَّا يُسخط الله ﷻ

ويُغضبه سبحانه، وحبسها علىٰ فعل الطَّاعات ولزوم العبادات والقيام بما أمر الله -جلَّ وعلا- عباده به، وحبسها ومنعها عن الجزع والتسخُّط والاعتراض علىٰ أقدار الله ﷻ.

فالصَّبر أنواعٌ ثلاثة: **صبرٌ علىٰ الطَّاعات، وصبرٌ عن المعاصي والآثام، وصبرٌ علىٰ أقدار الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المؤلمة.**

والمسلم لا يزال محتاجًا إلىٰ التَّواصي بذلك، وأهل الإسلام بحاجة إلىٰ أن يُوصِي بعضهم بعضًا بالصَّبر بأنواعه الثَّلاثة، قد قال الله لرسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[الأحقاف:٣٥]، ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾[الرُّوم:٦٠، غافر:٥٥ و٧٧]، وجاء أمره -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بالصَّبر في مواضع كثيرة من كتاب الله ﷻ.

وما من مقام من مقامات الدِّين إلَّا ويحتاج فيه العبد إلىٰ الصَّبر، فالصَّلاة تحتاج إلىٰ صبر، طلب العلم يحتاج إلىٰ صبر، برّ الوالدين يحتاج إلىٰ صبر.. كلُّ طاعة من الطَّاعات تحتاج إلىٰ صبر، فمن لم يكن متحلِّيًا بالصَّبر فسرعان ما ينثني في أوَّل الطَّريق، كذلك البعد عن المحرمات وترك المناهي والآثام، كلُّ ذلكم يحتاج فيه العبد إلىٰ صبر، فمن لم يكن عنده تحلٍّ بالصَّبر فإنَّ نفسه سرعان ما تنساق وراء الشَّهوات ووراء اللَّذائذ المحرَّمة التي نهىٰ الله ﷻ عبادَه عنها.

وكذلك مقام المُصيبة مقامٌ عظيم يحتاج إلىٰ تلقٍّ لها بالصَّبر، فمن لا صبر عنده يجزع ويتسخَّط، ويقع منه أعمال

هي أعمال الجاهلية «**ليس منَّا من لطم الخُدود وشقَّ الجيوب ودعا بدعوىٰ الجَاهلية**» [البخاري (ح١٢٩٤)، مسلم (ح١٠٣)]، فمن لا صبر له تقع منه هٰذه الأعمال.

والصبر في المصيبة عند الصَّدمة الأولىٰ والله يقول: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥﴾[البقرة]، وهٰذه الآية الكريمة فيها تنبيه للمسلم علىٰ أن هٰذه الابتلاءات حاصلة؛ يُبتلىٰ الإنسان بها وأن عليه أن يتلقَّىٰ كلَّ ذلك بالصَّبر قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ۝١٥٧﴾ قال عمر بن الخطاب ﷺ: نعم العِدلان ونعمة العِلاوة.

والخصلة الثّانية التواصي بالمرحمة والتراحم ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧﴾ وهٰذه من أعظم سمات أهل الإيمان، ومن أعظم مقتضيات الإيمان التَّراحم الذي يكون في قلوب أهل الإيمان، قال الله ﷻ: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[الفتح:٢٩]، فهٰذه صفة عظيمة كلَّما قوي إيمان الشَّخص قويت فيه الرَّحمة؛ رحمتُه بإخوانه، وهٰذه الرَّحمة لها آثارُها العظيمة التي هي من مقتضيات وُجودها في القلب قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحُمهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالحمىٰ والسَّهر**»[البخاري (ح٦٠١١)، مسلم (ح٢٥٨٦)]، والجزاء من جنس العمل «**الرّاحمون يرحمهم الرَّحمٰن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» [الصحيحة (ح٩٢٥)] وفي الحديث

الآخر قال: «من لا يَرحم لا يُرحم»[البخاري (ح٦٠١٣)، مسلم (ح٢٣١٩)]، ولهٰذا من أعظم صفات أهل الإيمان الرَّحمة التي تكون في قلوبهم، وهٰذه الرَّحمة ليست رحمة بالإنسان فحسب؛ بل إنها رحمة تطال بهيمة الأنعام والطَّير والدَّواب، ففي «الأدب المفرد» للإمام البخاري بإسناد ثابت أنَّ رجلا سأل النبي ﷺ قال: يا رسول الله؛ الشَّاة أذبحها وأرحمها، قال: «**والشَّاة إذا رحمتها رحمك الله** ».

والتَّواصي بالمرحمة أمرٌ عظيم الأهمية والحاجة إليه ماسَّة، خاصةً أنَّ النَّاس ولاسيما في مثل هٰذا الزَّمان يتعرَّضون إلىٰ أمورٍ وأهواء وشُبهات تصرف الإنسان عن الرَّحمة وعن التَّراحم، ولهٰذا ترىٰ خلقًا من النَّاس يتعاملون مع إخوانٍ لهم من أهل الإسلام والإيمان والدِّين معاملة لا رحمة فيها ولا رفق؛ بل هي معاملة قائمة علىٰ الغِلظة والفضاضة والشِّدة ممَّا يترتَّب عليه تنافُر القُلوب وتباعد الأبدان وكثرة العداوات، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ** ﴾[آل عمران:١٥٩]، فالمسلمون وبخاصّة طلَّاب العلم بحاجة إلىٰ العناية بالرَّحمة والتَّراحم والتَّواصي بذلك وحثِّ بعضهم بعضًا علىٰ ذلك، وأيضًا فعْل الأمور التي هي من مقتضيات الرَّحمة.

اقرأ أمثلة عليها في سورة الحجرات بدءًا من قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ والآيات بعدها.

وقول النبي –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– في حديث أبي هريرة رضي الله عنه «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا لا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا**» [البخاري (ح٦٠٦٦)، مسلم (ح٢٥٦٣)] إلىٰ آخر الحديث.

والرَّحمة من الإيمان، وقوَّتها في العبد من قوة إيمانه، وضعفها من ضعف إيمانه، وهٰذا ظاهر من قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مثل المؤمنين في توادُّهم وتراحمهم مثل الجسد**» فضَعف الرَّحمة بين أهل الإيمان من ضَعف الإيمان ومن نقص الدِّين؛ لأنَّ الدِّين دين الرَّحمة، ونبيُّنا نبيّ الرّحمة كما وصف –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– نفسه بذلك قال: «**أنا نبيُّ الرَّحمة**» ، فالدِّين دين الرَّحمة ونبيُّنا نبيُّ الرَّحمة، وإلٰهنا المقصود المعبود المتجه إليه بالعبادة والخضوع هو الرَّحمٰن الرَّحيم تبارك وتعالى، وأمر عباده وأمر بالرَّحمة والتَّراحم وحثَّهم علىٰ ذلك وأثنىٰ علىٰ المتراحِمين، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفِّقنا أجمعين لما يحبّه ويرضاه من سديد الأقوال وصالح الأعمال، وأن يهدينا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلَّا هو، وأن يصرف عنَّا سيِّئها لا يصرف عنَّا سيِّئها إلَّا هو. اللّٰهم إنَّا نعوذ بك من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ عبده ورسوله نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾

[سورة البلد]

كلمة

للشيخ عبد الرزاق البدر

حفظه الله

النسخة الإلكترونية الأولىٰ

سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com